عملًا جليلًا آئلًا الى مجد الله وخلاص الانفس الابدي وانه وقف حياته وحياة ذويه على ذلك العمل المبرور فرفع به شبه منارة سامية تبُثّ انوار الايمان الساطعة في كل انحاء انكلترة بل في كل اصقاع المعمور

إكرام كاتبة مسلمة للقديسة جان درك

ترجمة جان درك للسيّدة زينب فوّاز

انّنا بنسبة الاعياد التي أُقيمت في كنيستنا لإكرام القديسة جان درك استحسنّا نشر هذه الترجمة التي وضعتها احدى الكاتبات البارعات من السيّدات المسلمات وهي زينب فوّاز فأدرجتها في كتابها المعنون بالدرّ المنثور في تراجم ربّات الخدور الذي طُبع منذ نحو ثلثين سنة في القاهرة وقد وجدنا في هذه الترجمة ما يشهد لأُلفتها بحسن الذوق والاعتدال في الحكم مع رشاقة الاسلوب وسلاسة العبارة. والكاتبة الادبية من سيّدات القطرين السوري والمصري فانها سوريّة مولدًا وموطنًا ومصريّة منشأً وسكنًا فلكلا الوطنين حقٌّ بان ينظمها في جملة اديباتهِ المعدودات. ونحن نروي كلامها بحرفهِ مع الاشارة الى ما وقع فيهِ من السهو او العبارات غير السديدة

اصل جانه درك ودعوتها الى خلاص وطنها

جان درك وتسمّى لابوسل ١) وتُعرف بالسيّدة اورليان ٢) هي فتاة فرنساويّة كانت نقيّة البشرة بهيجة القوام دعجاء العينين ذات شعر فاحم مسترسل على كتفيها يلوح على محيّاها الصبيح سيماء الحياء واللطف والدَّعة وتبدو من مخايلها أمارات مضاء العزيمة وبُعد الهمّة وثبات الجأش. قطالما امتطت الفرس فسابقت عليه وهو غير مُسرَج ولا مشكوم جزّةً وفروسيةً (٣). وكانت ذات كلام بالغ بيّن الرُّشد وافعالٍ دائرة على محور الاستقامة والصلاح. ولدت في دومرمي من مقاطعة لورس (٤) سنة

١) من الفرنسويّة (la Pucelle) ٢) تريد سيّدة او عذراء اورليان (la Pucelle d'Orléans) ٣) لم تخطِ جوادًا قبل سيرها الى الحرب ٤) تصحيف لورين (Lorraine)

١٤١١ للميلاد من راعٍ يدعى جان (١ وكان قد ربّاهُ الفقر وهذّبهُ الدين فنشأت كثيرة الهواجس الدينية (٢

ولمّا بلغت الخمس سنوات اخذت ترى في هجعتها (٣ رؤيا علويّة زاعمة (٤ انّ الملائكة والاولياء تتجلّى عليها بمنظر نورانيّ . فلمّا أنس ابوها منها ذلك اراها من القسوة والعنف ما حداها الى الفرار والانطواء (والانضواء) الى ارملةٍ من ربّات الفنادق (٥ فاقامت في خدمتها زمناً تبذُل عندها من الاخلاص في السعي والاقدام في العمل والعفاف في المسلك ما تُذكر بهِ فتُشكر

ثم عادت الى ابيها (٦ زمانَ اذ كانت فرنسا على شفا حفرة من النار والانكليز يذيقونها من حروبهم ضريع الويل الممزوج بالشنار . وكان قد مرّ بقريتها فريقٌ من الاعداء فاكتسحوها واستاقوا امرالها فاقتسموها وتركوها خاويةً على عروشها يندبها لسان الخراب ويأوي الى أطلالها البوم والغراب . فصدع فؤادها الشفّاف (الشفّاق او الشفوق) ذلُّ قومها وبوارُهم وانكسارهم للعدوّ المغضي الى دمارهم فعاودتها الاحلام والرؤيا زعمت (٤ انّها مأمورة بالإلهام بإنقاذهم وبلادهم من الهلكة والمعرّة وانتشال قومها من هوّة الحَيف والمضرّة

سيرها الى الملك شرل السابع سنة ١٤٢٨

وبعد تردُّد وأعمال روّية سارت الى شارل ملك فرنسا في شهر شباط سنة ١٤٢٩ ميلاديّة وكان عليها ان تقطع مسافة ١٥٠ فرسخاً في اقطار مشحونة بدبّابة الانكليز ومحفوفة بالمخاوف والاهوال حتّى تبلغ مدينة لوزين (؟) حيث يقيم الملك (٧ فتزيّت بزيّ فارس (٨ وعلت جوادها بعد ان تقلّدت حساماً بتّاراً واخترقت تلك الهامه حتّى اذا

---

١) والصواب جاك اي يعقوب درك ٢) لم تكن تلك الهواجس اوهاماً بل عواطف تقويّة شريفة ٣) بل في يقظتها حين بلغت الثالثة عشرة من عمرها ٤) ليس الزعم هنا بمعنى الظن بل بمعنى التأكيد ٥) والصحيح انّما انتقلت مع والديها الى مدينة نوفشاتو لمّا غزت قريتها عصابة من البورغنديين المشايعين للانكليز فخدمت هناك الارملة المذكورة ٦) والصواب انها عادت مع اهلها الى دومري بعد خروج البورغنديين منها. ٧) كان الملك مقيماً في مدينة شينون ٨) فعلت ذلك بوحيٍ من رؤاها

اشرفت على مقرّ الملك بعثت تُنبئهُ بقدومها وتخبرهُ بأنها ستكون منقذةً للعرش وراضة الحصار عن اورليان (١ وانها ستمهّد سبيل تتويجهِ في رام (٢

فلمّا قدم عليهِ البشير بذلك النبأ ابتسم ذريًا (زَرْيًا) من قلب مشحون من الغيظ . ثمّ استمرّ مع وزرائهِ في شأنها ثلاثة ايام فكان فريقٌ يسخر منها ويضحك عليها وفريقٌ يذود عنها ويرى إلقاء المقاليد اليها والملك بين ذلك من حزب لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء حتّى اسفر الرأي عن لقائها . فلبس الملك ثياب احد اتباعهِ والبسهُ ثوبهُ الملكي اختبارًا لأمرها ثمّ اذن لها . فجاءت تخترق صفوف الحشم والحاشية حتّى وقفت بإزائهِ فانحنت جاثيةً لديهِ قائلة لهُ بلسانٍ ذَرِب : « حُيّيتَ وحُيّيت ايها الملك الحليم . فقال لها : اخطأتِ فانّ الملك هو ذاك مشيرًا الى من ألبسهُ ثوبهُ . فقالت : « ما الملك الّا انت وما انت الّا الملك واني لمأمورة انا العذراء المسكينة من الروح الامين بشدّ أزرك والدأب لأسباب نَصرك وما على الرسول الّا البلاغ » . فخلا بها الملك حينًا من الدهر ثمّ ناجى وزراءهُ فقال لهم : « قد احاطت لعمرُ الله بنا في سرائري وادركت ممّا لا يدركهُ بعد الله الّا ضمائري واني لا اشكّ ان اكون من امرها على ثقة ولكن لا بأس من التأني ريثما تُمتحن » . ثمّ انها برهطٍ من سَرَة الاطبّاء وساطنة العلماء حاولوا ان يفقروها (٣ بمسائل مُشكِلات وغوامض حتّى اذا اعيتهم الحِيَل وعادوا بالخيبة والفشل عزّزها الملك بكتيبةٍ من خواصّ فرساتهِ

فبرزتْ امام الجيش شاكّة السلاح معتقلة بيدها رمحًا وبالأخرى رايةً واخذت تعدو على جوادها متفننة في انواع الفروسيّة حتّى سحرت الناظرين فهتفوا ترحيبًا بها واستحسانًا لها وتعجّبًا منها ثمّ صارت بجيشها تنهب الارض هملجةً وخبًا حتّى بلغت العسكر في اورليان . واذا بارواح القوم تكاد تبلغ التراقي والعدوّ محيط بالمدينة احاطة الهالة بالبدر واهلها في شدّة من ضيق الخناق

فأمرت بادئ بدأةٍ بتطهير العسكر من عواهر النساء وحضّت الرجال على الاستمساك بالتقوى والاعتصام بالرجاء ثمّ زحفت على البلد فاستولى الرعب على قلوب الانكليز وقالوا : « ما هذه بشرٌ إنْ هي الّا مَلَكٌ كريم (٣ » او ساحرة اثيم . وكانت

١) اقرأ « اورليان » ٢) اي مدينة رعس

٣) من سورة يوسف : ع ٣١ وفي القرآن « بشرًا »

ترتدي بحلّة بيضاء وتركبُ جواداً اشهب وتنشر فوقها راية بيضاء. (١ فاذا بصر بها الانكليز وهي في هذا الهندام فرُّوا من امامها كأنهم حُمُرٌ مستنفرة فرّتْ من قَسْوَرة. وما برحت تصدق الحملة وتتابعها وتبلي بالعدوّ البلاء الحسن وهي تتجرَّع من انحراف جيشها عنها وعدم انقياده لها انواع الغصص وضروب الإحن حتّى لستتبّ لها الفوز فضعف الانكليز واستكانوا وضربت عليهم الذلّة اينما ثقفوا فألجئوا الى الجلاء على (عن) اورليان فكفُّوا عن حصارها في ١٨ ايّار ١٤٢٩ وانهزموا لا يلوون على شيء فسارت جان درك الى بلوا لتهنئ الملك بما اوتيهُ على يدها من النصر. وكان القرويُّون في تلك الاصقاع يتسابقون لمرآها ويتزاحمون على لثم أقدامها ولمس ثرابها. فأكرم رجال البلاط وفادتها ودعاها الملك الى وليمة فأبت قائلةً: «انَّ الوقت وقتُ جهاد (جهاد) وثبات لا وقت قصف ولذّات. وان الروح انبأني انَّ الموت قد دنا فتدلّى حتى صار على قاب قوسَين(٢ وانهُ لم يبق بيني وبينهُ اكثر من عامَين فاذهب بحثّك الى رام (ريمس) حيثما اتوّجك بيدي وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء».

وصارت امامهُ بفصيلةٍ من الجيش حتّى اذا بلغت جارجوا اعترضها العدوّ فهاجمتهُ ووقت (رقيّت) سلّماً نُصب لها على السور فرُميَتْ من اعلاهُ بما جندلها من الخندق فصُرعت لكنّها افاقت بعد قليل وجعلت كقائد الجيش تستثير حميَّة العساكر بكلام ارقّ من السحر وافعل في الرؤوس من نشوة الخمر وهي تعاني آلاماً مبرّحة. فدبَّت النخوة في صدور الرجال وحملوا حملةً صادقة اذاقت العدوّ الازرق بلاء السرد وأرَتْهُ من بريق النصل الابيض موتاً أحمر. فاستولت على البلد عنوةً بعد ان أسرت

ولمّا طار الخبر الى الامير تلبوت قائد الانكليز العام اخلى سائر المدن وكرَّ قافلاً الى باريس وما برحت جان درك آخذة في سيرها وكلّما عثرت بشرذمة فتكت بها حتّى بلغت مدينة رام (ريمس) وهناك تمَّ تتويج شارل في ١٧ تموز سنة ١٤٢٩ وكانت جان درك ممسكةً بسيفهِ وعليها اثواب الكُهاة. وبعد انقضاء الحفلة جثتْ عند قدميهِ. وعانقتهما باكرام باكيةً ثمَّ قالت: «اليوم اكملتُ لكم نصركم وانجزتُ كلّ ما وعدتكم فأطلقوا سراحي فاعود الى ابي قريةَ العين حيث ارعى الماشية واغزل

١) رسمنا صورتها في المشرق (١٢ [١٩٠٩]: ٢٢٨) كان مرقوماً عليها اسما يسوع ومريم الكريمان ٢) من سورة النجم ٨-٩

الصوف جرياً على سُنّة بيتٍ رَبَيْتُ فيهِ ونشأتُ عليهِ»

فامتنع الملك قائلًا : « كيف أُغادر مَنْ بها نجاةُ الامّة واليها يرجع امر استتاب راحتها وعليها يتوقف استكمال سعادتها » . ذلك لأنَّ الناس كانوا قد ازدادوا بها اعتقاداً وعلّقوا على بسالتها واقدامها آمالًا طوالًا حتّى كانوا يرون حول رايتها ارواحاً من الفَراش البرّاق (١

فساءها امتناع الملك وعرّتها من تلك الساعة الكآبة والحزن وفارقها ذلك الرشد والنشاط وذهبت عنها تلك الحميّة والبسالة وانقطعت عنها احلامها الروحانيّة حتى اصبحت اعمالها رهينة الحيرة والفشل واقوالها قرينة الوهم والركاك وكانت تُرى ابداً حائرة النفس دائمة البكاء (٢

ولمّا لم يُجدِها الإلحاح نفعاً استعادت من معبد رام (ريمس) سلاحها وبرزت ثانيةً في زيّ الابطال غير انَّ كبراء القادة وامراء الجيش كانوا قد لُشربوا بغضها واضمروا لها الحسد والضغينة فصاروا يشنعون عليها ويُسيئون معاملتها ويُغرون العساكر على نَبْذ طاعتها ويلقّبانها بالالقاب المستهجنة ويُتهمونها بهتك حجابها ويفضحونها امام العموم . . فكانت تردُّهم اقبح الردّ ولا تجالس الّا حرائر النساء ومصونات الابكار ولا تنام الّا مع امرأة تختبرها فلم يجد احدٌ فيها محلًا للوَم والقذف ومع انّها جُرحت جراحاتٍ لم يثبت كونها سفكت بيدها دمَ احدٍ

ثمّ اشارت على الملك بالشخوص الى باريس ليستخلصها من يد الانكليز فساروا وجان درك سائرة في ركابهِ حتّى اذا بلغتها بعد شقّ النفس امرها بالهجوم على قوبور سنت اوترى (٣ حيث يقيم الاعداء فأُثخنت في تلك الواقعة جراحاً وصُرعت عدّة صرَعات . ولمّا استعادت رُشدها قامت فعلّقت درعها وسألت الملك الانصراف فأبى ووعدها باعفاء قريتها من الضرائب ومنحها رتبةً جليلة فعاودت الخدمة مرغمةً

---

١) رأى ذلك اهل مدينة تروا يوم اضطرّتهم على فتح مدينتهم للملك شرل

٢) في هذا شيءٌ من المبالغة . فانَّ القديسة جان درك اذ لم تمُد تسمع الاصوات السماويّة التي كانت ترشدها وكان الملك لا يدعها ان تعود الى عزلتها بقيت حيناً في حيرة وارتياب لكنّها آثرت اخيراً ان تضحّي حالها في خدمة وطنها فكان موقفها داعياً لنصرة فرنسة تماماً

٣) هذا تصحيف فوبور سنت اونوره (Faubourg St.-Honoré)

وفي السنة ١٤٣٠ انتدبها الملك الى اجلاء الانكليز عن كومبين (١) فسارت متدرّعة بالاقدام بيد انها لما ارادت الايقاع بالحاضرين خذلها اتباعها فرُميت بسهم، فصُرعت واستسلمت الى الامير قندوم (٢ وذلك في ٢٤ ايار ١٤٣٠ فذاع خبر اسرها في تلك الاصقاع واقبل الناس لرؤيتها

ثمّ بويعت للانكليز وخذلها الملك شرل جاحداً جميلها كافراً نعمتها لؤماً منهُ وخسّةَ اصل (٣ وخاض الناس في حديثها وكان اهل باريس يشدُّون عليها النكير ويُغرون الانكليز على اتلافها (٤ فلبثت مسجونةً في قلعة جان دولكسمبرغ حتى أُقيمت عليها الدعوى في ١٤ شاباط (شباط) سنة ١٤٣١ تحت رئاسة كوشون مترنه بوفه (٥ من صنائع هنري السادس عامل الانكليز فسيقت الى المحكمة ست عشرة مرّة ابدت في خلالها ثباتاً عجيباً ودفاعاً مُفحماً على انهم حكموا اخيراً بأنها مبتدعة ساحرة وبأن تجازى بالحبس الابدي مقصوراً قوتها على الخبز والماء

ثمّ ارغموها على الحَلف بان لا ترتدي بعد ذلك بلباس الرجال ثمّ نصبوا لها شركاً بان بدلوا ثيابها ليلاً بثياب رجل فلمّا ارادت ترك فراشها لم تجد سوى تلك الثياب فلبستها مضطرّةً فهوجمت وسيقت الى الحاكم بهذا الزيّ فحكم بأنها حانثة تستحقُّ الإحراق فقالت بثبات وجلال : اني استأنف حكمك الى عرش الحكيم العظيم (٦ .

ولكنّها لما أُخرجت الى حيث استوقدت النار خارت قواها فأنّت متأوّهةً ولما حمي الوطيس ولعلع لسان اللهيب فيه جعلت تدعو وتبتهل بلسان ابكى اعداءها (٧ وحيّر الكرديتال بوفور تحوّل وجههُ عنها تألّماً والدموع تنحدر من مآقيهِ كالسواقي. وقد تمّ هذا المشهد الاثيم في ٢١ ايار سنة ١٤٣٠ في ساحة تسمّى موضع البكر وذُرّي رمادها بالهواء فوق نهر السين

---

١) تريد كسيابن (Compiègne) ٢) كان الامير دي قندوم من حزب البرغنديين

٣) لم يجحد الملك جميلها لكنّهُ اظهر ضعفاً في الدفاع عنها وفكّ اسرها ٤) كانوا موالين للحزب البرغنديين ٥) اي مطران بوفه (Cauchon év. de Beauvais)

٦) وطلبت ان يُرفع الحكم الى بابا رومية . الذي لمّا بلغهُ الامر بعد موتها زكّاها وبرّأ ساحتها ٧) كان ابتهالها الى السيد المسيح ربّنا وقد طلبت ان يوضع صليبهُ المقدّس امامها فانت صارخة : يايسوع . يا يسوع . ولم تؤثر النار في قلبها

ثمَّ بعد عشرين عاماً نقض مطران باريس ومطران رام (ريمس) هذا الحكم واثبتا براءتها. وفي سنة ١٨٢٠ أقيم لها تمثال في موطنها دومرمي وآخر في محلّ إحراقها دون (١ ثمّ آخر في باريس وهو اجل تماثيلها. وفي السنة ١٨٥١ نصب لها اهل اورليان تمثالاً في مدينتهم وهم يعيّدون تذكارها في ٨ ايّار في كل عام

وقد عاب الرأيُ العام فولتير (٢ بقصيدته التي اودعها ذمّ جان درك وتسويد صحيفتها بانواع السبّ الظالم والقصف الغادر لكنهُ لا يُستغرَب ذلك ممّن اوقف حياتهُ على تقويض عمَد الديانات وتزييف اوليائها. وقد ألّف كتبة الفرنج بموضوع قصّتها عدّة روايات محزنة من النوع المعروف بالتراجيدي اي الفاجعة وهي مما يُذيب تمثيلها القلوب ويشقّ المرائر. فيا قاتَلَ الله الانسان انهُ لكافر

ليت السباعَ لنا كانت مجاورةً وليتنا لا نرى ممّن نرى احدا
انّ السباع لتهدا عن فرائسها والناس ليس جادٍ شرُّهم ابدا

الحيوانات الداجنة وتربيتها

نظر طبيعيّ فلسفي لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ

لا يرضى المتشيّعون لآراء دروين بان ينسبوا النباهة فقط الى الحيوان بل يزعمون انّهُ يحصل على شيءٍ من العقل والنطق. وحجّتهم في تأييد رأيهم انّ للحيوان حركاتٍ وسكنات لا يُستطاع تعليلها الّا بالقول انهُ ذو فهم وتعقُّل أفلا تراهُ مدركاً لاعماله وعارفاً بما يدعوهُ اليها وعالماً بما سيحصل من بعضها ان لم نقل عن كلّها ؟

قالوا : انظر مثلاً الى هذا الكلب فانّهُ اذا بلغ مدخل بيت سيّده رفع بقائمتيه وسندهما الى الباب وعالج زلاجهُ الى ان يفتحهُ فيدخل. ومن الكلاب الصيّادة ما يقوم باعمالٍ عجيبة بركضهِ وراء الصيد وحجزهِ وبحراسة البيوت واهلها ومنها ما

١) هذا تحريف روان (Rouen) ٢) هو تصحيف فولتير (Voltaire) الذي اظهر كفرهُ ودناءة نفسهِ بتأليف مأساة شنّع فيها على تلك النفس الملائكيّة